﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾

[الزّخرف: 5]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

القرآنُ الكريم ذِكرٌ وشرف لِمَن آمن به، وتقرَّب إليه

في الآيات السّابقة أقسم اللّهُ تعالى بـ (الكتاب المبين) على أنَّه أنزلَه قرآنًا عربيًّا، وأنَّ القرآن الكريم مُدوَّنٌ لديه ﷻ في اللَّوح المحفوظ، وأنَّه عالي القَدْرِ ذو منزلة شريفة، معمورٌ بالحِكمة، ثمَّ انتقل النَّظمُ الكريم هنا إلى تهديد كفّار قريشٍ بِصَرْفه هذا الذِّكرَ العليَّ الحكيم عنهم؛ إذ لم ينتفعوا ببيانه وحِكمته، ولأنَّهم أسرفوا على أنفسهم في الكفر والعناد، وتجاوزوا الحَدَّ في معاداته، برغم أنَّه (ذِكر) لهم وشرفٌ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾: (ضرب) أصلُ الضَّربِ: إيقاعُ شيءٍ على شيء، كَضَرْبِ الشَّيءِ باليد، والعصا، والسَّيف، ونحوها، قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [الأنفال: 12]، ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمّد: 4]، وضَرْبُ الأرضِ بالمطر، وضَرْبُ الدَّراهم؛ اعتبارًا بِضَرْبِ المِطرقة، وقيل له: الطَّبع، اعتبارًا بتأثير السِّمَة فيه[1]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾، أي: أنَتْرُك إنذارَكُم إعراضًا، ونهملُكم، فلا نعرِّفُكم ما يجب عليكم؟[2].

2) ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: (ذكر) الذِّكر، بالكَسرِ لَهُ مَعنيان: التَّلَفُّظُ بالشَّيء، وإحضارُه في الذِّهْن، بِحَيْثُ لا يغيب عنهُ، وهو ضِدُّ النِّسْيان، والذُّكر بالضَّمِّ: للمعنى الثّاني لا غير، وإذا أُريد بالذِّكر الحاصِلُ بالمَصْدَرِ

(1) الرّاغب، المفردات: (ضرب).

(2) الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضرب).

يُجْمَع على (أذكار)، وهو الإتيان بألفاظٍ وردَ التَّرغيبُ فيها، ويُطلَق، ويُراد به المواظبَةُ على العمل بما أوجبَه، أو ندبَ إليه، كالتِّلاوة وقِراءَةِ الأحاديث ودرسِ العِلْم، والنَّفْلِ بالصَّلاة، والذِّكْر: التَّلفُّظُ بالشَّيء وإحضارُه في الذِّهن بحيثُ لا يغيب عنه، ويُطلق على الصِّيت والثَّناء[1]، والذِّكر هنا القرآنُ الكريم، لوحظ فيه معنى عدم نسيانه، بل إدامةُ الحفظِ فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50]، وقولُه: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: 8]، أي: القرآن[2]، فمَعْنى ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: أفَنُنَحّي عنكم الذِّكرَ والقرآنَ، ونُبْعِدُه عنكم، ونُمسكُ عن إنزاله لكم؟

3) ﴿صَفْحًا﴾: (صفح) صَفْحُ الشَّيءِ: عَرْضُه وجانبُه، كَصَفْحَةِ الوجه، وصَفْحَةِ السَّيف، وصَفْحَةِ الحَجَر، والصَّفْحُ: تَرْكُ التَّثريب، وهو أبلغُ من العفو، ولذلك قال: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: 109]، وقد يعفو الإنسانُ، ولا يَصْفَحُ، قال: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزّخرف: 89][3]، فمَعْنى ﴿صَفْحًا﴾: من صَفَح عَن فلان، أي: أعرض عَنهُ مولّيًا[4]، أي: إعراضًا عنكم، أو هو حال من فاعل نضرب، أي: نضرب عنكم الذِّكر صافحين، أي: مُعْرِضين عنكم[5].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أنُخَلِّيكُم إلى كُفركم وجُحودكم، فنَصْرِفُ عنكم نُصْحَنا ودعوتنا؟ ونُمسكُ عنكم إنزالَ القرآنِ الكريم عليكم بسبب عنادكم وعداوتكم للحقِّ، ومغالاتِكم في كُرهِهِ والكيدِ له؟ لا، لن نتركَ تذكيرَكُم ودعوتَكم إلى الهُدى، فمِن حِكمتنا ورحمتنا بالمُخْطئين

**حِكمةُ الله تعالى ورحمتُه تقتضيان الحِلمَ بالمُخطئين والصَّبر عليهم**

(1) أبو البقاء، الكلّيّات، ص: 456.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذكر).
(3) الرّاغب، المفردات: (صفح).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (صفح).
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 192.

أن نتعهَّدَهم بالتَّذكير والنُّصح والمعالجة، فـ "ننزِّلَ عليكم الكتابَ، ونوضِّحَ لكم فيه كلَّ شيء، فإن آمنتُم به، واهتديتم؛ فهو من توفيقكم، وإلّا قامت عليكم الحُجَّة، وكنتم على بيِّنةٍ من أمركم"[1]، لكِنّا لسَعة رحمتِنا لا نفعل ذلك، بل نَهْديكم إلى الحقِّ بإرسال الرَّسول الأمين ﷺ، الَّذي هو ذِكْرٌ، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطّلاق: 10 - 11]، وبإنزال الكتاب المبين؛ حتّى آمن أغلبُهم، وعانق القرآنَ الكريم والدّينَ الحقَّ، وعاش به وله، ومات عليه.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### معنى الهمزة في: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾:

(الهمزة) في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾؛ للاستفهام الإنكاريِّ التَّهديديِّ؛ إذ لا يستفهِم اللهُ تعالى استفهامًا حقيقيًّا، بل يُنكِر عليهم ما هم عليه من الإسراف؛ إذ يقول تعالى بعده: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، فإسرافُهم في الكفر ومجاوزتُهم حدودَ الحقِّ الَّذي يدعوهم إليه الرَّسولُ ﷺ منَ التَّوحيد والإيمان، جديرٌ بتنفيذ هذا التَّهديدِ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾، ونُهْمِلُكم ونُخليكُم إلى الضّياع.

**تكذيبُ المُكذِّبين لا يَمنع من دعوتهم، وإصرارُهم عليه يوجِب عقوبتَهم**

و"إن كان ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ هو القرآن أو الرَّسولُ؛ فالتَّأويل: أنَّه وإن عُلِمَ منكم الرَّدُّ والتَّكذيبُ، فلا يمنعُه ذلك عن إنزاله عليكم، وبَعْثِه رسولًا إليكم وإن أنكرتم، وإن كذَّبتُموه، وردَدتموه؛ فلا يحمله ذلك على رفعه من بينكم بشرككم وكفركم.

وإن كان ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ هو العذاب، فيصير كأنَّه يقول: أفَنَترُكُ تعذيبَكم، أو نمسكُ عنه، ولا نعاقبُكم، وأنتم قومٌ مسرفون؟ أي: مشركون"[2].

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 762.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 148.

### دلالةُ (الفاء) في: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾:

الـلـه تـعـالى لا يُـهْـمِـل عـبـادَه، فمن آثَـرَ الكفرَ عـلى الإيـمـان؛ كـــان جُـــرْمُـــه وجنايتُه

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ عاطفة، وهي "للعطف على محذوف، تقديرُه: أنُهْمِلُكم، فنضربُ عنكم الذِّكرَ؟ إنكارًا لأن يكون الأمرُ على خلاف ما قُدِّم من إنزاله الكتاب"[1]، وفي هذه (الفاء) "بيانُ أنَّ ما قبلها - وهو جَعْلُ القرآنِ عربيًّا - سببٌ لِما بعدها، وهو إنكارُ أن يَضرب سبحانه الذِّكْرَ عنهم صَفْحًا، أي: إعراضًا"[2]، ففي (الفاء) "تفريعُ الاستفهام الإنكاريِّ على جملة: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، أي: أتحسبون أنَّ إعراضَكم عمّا نُزِّل من هذا الكتاب يَبعثُنا على أن نَقطع عنكم تَجَدُّد التَّذكير بإنزالِ شيءٍ آخَرَ من القرآن؟"[3]، وفي حذف المعطوف عليه (نهملُكم) إشارةٌ لطيفة، وهي أنَّ اللّه تعالى لا يُهْمِل عبادَه، وأنَّ الكفر والضَّلال الَّذي يُؤْثِرونه على الإيمان والهُدى، ثمَّ يموتون عليه، إنَّما هو جريمتُهم هم.

### معنى الضَّرْبِ في الفعل ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾، وبلاغةُ التَّضمين فيه:

الدَّلالةُ على الله نِعمةٌ كبرى

المقصود بالضَّرْب في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ الإعراضُ عنهم، وإهمالُ شأنِهم، وتخليتُهم إلى الضّياع في مَهامِه الكفر والضَّلال؛ إذ إنَّ دعوتهم إلى الحقِّ، ودلالتَهم عليه دلالةَ إرشادٍ وتوجيهٍ نعمةٌ كبرى، وتخليتَهم إلى أنفسهم خِذْلانٌ كبيرٌ، فمن جاءته الدَّعوة، فاستقبلها باستبشارٍ؛ أعانه اللّهُ تعالى، وأمَدَّه بهداية التَّوفيق والتَّسديد، ففي التَّعبير بالضَّرْب إذًا تضمينُ معنى الإمساك، والصَّرف، والإعراض، والذَّهاب؛ والدّالُّ على ذلك التَّضمين تعديةُ فِعلِ الضَّرب بـ (عن)، الَّتي تتعدّى بها تلك الأفعالُ، والمعنى: "أفنُعْرِضُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 237.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 65.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 163.

عنكم، ونترككُم أيُّها المشركون فيما تحسبون، فلا نُذكِّركم بعقابنا من أجل أنَّكم قومٌ مشركون؟"[1]، أو "أفنذهبُ عنكم بهذا القرآن سُدًى، لا تسألون، ولا تُعاقَبون على تكذيبكم إيّاه، وقالَ بَعضُهُم: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ﴾، أي: فيُمسِكُ عنكم، فلا يُذكِّركم"[2].

**لطيفةُ إسناد الضَّرب إلى ضمير العظَمة في: ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾:**

عقوبةُ العظيم -إذا عاقَب- عظيمةٌ، كما أنَّ كرمَه -إذا أكرم- عظيمٌ

في إسناد فعل الضَّرب إلى ضمير العظَمة في جملة: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ دَعْمٌ للتَّهديد، وتقويةٌ للزَّجر، وترشيحٌ للتَّخويف؛ إذ إنَّ ضَرْب الذِّكر عنهم صفحًا سيكون من العظيم ﷻ، ممّا يقطع بخطورة الأمرِ، وشِدَّة العقوبة على هؤلاء الكافرين، فعقوبةُ العظيم - إذا عاقب - عظيمةٌ، كما أنَّ كرمَه - إذا أكرم - عظيم.

**جمالُ الاستعارةِ التَّمثيليَّة في: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾:**

أهلُ العِناد من الكفّار كالإبل الشّاردة، الَّتي تستحقُّ التَّأديبَ ولَيَّ أعناقِها

الضَّرب في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ "مستعارٌ لمعنى القَطْع والصَّرف؛ أخْذًا من قولهم: ضَرَبَ الغرائبِ عن الحوض، أي: طردَها وصَرَفَها؛ لأنَّها ليست لأهل الماء، فاستعاروا الضَّربَ للصَّرف والطَّرد"[3]، وهي استعارةٌ تمثيليَّة؛ إذ "شَبَّه حالةَ هذه التَّنحيةِ بحالة ذَوْدِ غرائبِ الإبل عن الحوض، وبولغَ فيه، ثمَّ استُعمل هنا ما كان مستعملًا هناك، قال الميدانيُّ: "ضربَه ضَرْبَ غرائبِ الإبل، ويُروى: أضْرِبُهُ ضَربَ غريبةِ الإبل، وذلك أنَّ الغريبة تزدحمُ على الحياض عند الوِرْد، وصاحبُ الحِياض يَطردُها، ويَضْرِبُها بسبب إبلِه، ومنه قول الحَجّاج في خُطبته يُهدِّد أهلَ العِراق: واللّه، لأضربنَّكُم ضَرْبَ غرائبِ الإبلِ، يُضْرَبُ في دفع الظّالم عن ظُلمهِ بأشدِّ ما يُمكن"[4].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 20/ 548.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 147.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 163.
(4) الميدانيّ، مجمع الأمثال: 1/ 419، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 99.

### بلاغةُ التَّعريض بالمعاقبة في: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ﴾:

التَّعريضُ في مقام التَّحذير بيانٌ هامس، والتَّصريحُ مثيرٌ مُستفِزٌّ

إنَّ ضَرْبَ ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ صفحًا عن الكافرين في حَدِّ ذاته لا يُمثِّل كبيرَ تهديد، ولا مزيدَ تخويفٍ، لولا ما وراءَه من التَّعريض بالمعاقبة، وإن كان إعراضُ الله تعالى عن الإنسان وإهمالُ شأنِه كبيرَ خطرٍ عند من يعرف حَقَّه تعالى، لكنَّ هؤلاء المنكرين لا يعرفون له حَقًّا، وبناء على ذلك كان التَّلويح بالمعاقبة الكافية وراءَ هذا الأسلوب، وهو المقصود من السُّؤال، ففيه تعريضٌ هامِسٌ، لا تصريحٌ مستفِزٌّ يستثير غضبَهم وكبرياءَهم.

### بلاغةُ الكناية في التَّعبير بالضَّرب صَفحًا:

القرآنُ الكريم يريد العُتبى ممَّن أغضبه، وينتظر مصالحتَه

من لوازم الضَّرْبِ في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ معنى المغاضبة؛ إذ إنَّ المُغاضِبَ "يريد العُتبى ممَّن أغضبَه، وينتظر مصالحتَه! وقد صالح العربُ القرآنَ، وأعتبوه، وأدَّبوا المتطاولِينَ عليه، وقَتَلوا مِن أجل ذلك أبناءَهم، وآباءَهم، وإخوانَهم، وباعوا أنفسَهم بيعَ السَّماحِ لله تعالى، في سبيل نُصْرَة دينِ الله ﷻ الَّذي جاء به، وفي الاستفهام بقوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ إنذارٌ وتنبيهٌ، يُشْعِر بالحِرْص على هداية هؤلاء المشركين، مع أنَّ إسرافَهم في الضَّلال والعِناد، كان يَقضي بأن يُصْرَف القرآنُ عنهم، من غير إنذار أو إعذار"[1].

### دلالةُ التَّعبيرِ بالصَّفح في: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾:

الصَّفح في اللُّغة: "الإعراض بِصَفْح الوجه - وهو جانبه - وهو أشدُّ الإعراض عن الكلام؛ لأنَّه يجمع تركَ استماعِه، وتركَ النَّظرِ إلى المتكلِّم"[2] معًا، قال ابن قتيبة: "والأصل فيه أنَّك تولِّيه

الصَّفحُ أشدُّ الإعراض، وهو في كلِّ سياقٍ بحسبه

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 107.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 164.

صفحةَ عُنُقِكَ"[1]، ومنه أُخِذ الصَّفْحُ عن المُذنب، فإنَّه يعني: "ترْكَ التَّثريب، وهو أبلغُ من العَفو، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: 109]، وصفحتُ عنه: أوليْتُه منّي صفحةً جميلةً، مُعرِضًا عن ذَنبه، أو لقيتُ صفحتَه متجافيًا عنه، أو تجاوزت الصَّفحة الَّتي أُثْبِتَ فيها ذَنبُه من الكتاب إلى غيرها، من قولك: تصفَّحت الكتابَ"[2].

**موقع ﴿صَفۡحًا﴾ من التَّركيب:**

جاءت كلمةُ ﴿صَفۡحًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ مفعولًا لأجله، وعاملُه الفعل (نضرب)، و"انتصابُه كانتصاب ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ [النّمل: 88]، فيحتمل أن يكون بمعنى العَفو والغَفْر للذَّنب، فكأنَّه يقول: أفَنَترُكُ تذكيرَكم وتخويفَكم عَفوًا عنكم وغَفرًا لإجرامكم؛ إذ كنتم - أو من أجل أن كنتم - قومًا مسرفين، أي: هذا لا يصلح"[3].

المفعوليَّة والحاليَّة والمَصدريَّة فيها إعراض عنهم بتنحية الذِّكر عنهم

أو يكون ﴿صَفۡحًا﴾ "بمعنى الجانبِ، فينتصب على الحال، أي: صافحين معرضين"[4]، أو هو مصدرٌ معنويٌّ لـ(نضرب)، فإنَّ تنحيةَ الذِّكر عنهم إعراضٌ، أي: أفَنُعْرِضُ عنكم بتَرْكِ إنزالِ الذِّكر صفحًا وإعراضًا لأجل ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾[5].

**نُكْتَةُ تقييدِ الضَّرب بالجارِّ والمجرور ﴿عَنكُمُ﴾، ولطيفة تقديمه:**

في تقييدِ الفعل ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾ بالجارِّ والمجرور ﴿عَنكُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ مزيدُ تخويفٍ وزجرٍ لمشركي قريشٍ عن كفرهم، وعن مجاوزتِهم حدودَ الحقِّ إلى الكفر، والمغالاةِ

تكذيبُ كفّارِ قريش إلى رتبة يستحقّون بها صَرْفَ الخيرِ عنهم

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 395.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 101.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 46.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 237.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 192.

في محاربة الحقِّ، وفي تقديمه تأكيدٌ للزَّجر والتَّخويف، فكأنَّهم هم بخاصَّة مَن يَستحِقّون صَرْفَ الخير عنهم، وإهمالَ شأنِهم، وفي ذلك كنايةٌ عن عُتوِّهِم وتَجَبُّرِهم في معاداة الرَّسول ﷺ، وتكذيبِهم بالقرآن الكريم، ومعاندتِهم للدِّين.

**توجيهُ القراءاتِ في قوله تعالى: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ وبلاغتها:**

في قوله تعالى: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائيّ وأبو جعفر وخَلَف بالكسر: ﴿إِن كُنتُمْ﴾، وقرأ الباقون بالفتح: ﴿أَن كُنتُمْ﴾، والمعنى على الفتح فيه معنى التَّعليل، أي: "بمعنى: لأن كنتم"[1]، و"الكسر على أنَّه جزاءٌ استَغْنَى عن جوابه بما تَقَدَّمه، كما تقول: (أنت ظالم؛ إن فعلت كذا)، قال الفرّاء: ومِثله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: 2] بالفتح والكسر: ﴿إِن صَدُّوكُمْ﴾"[2]، قال الزَّمخشريُّ: "فإن قلت: كيف استقام معنى ﴿إِن﴾ الشَّرطيَّة، وقد كانوا مسرفين على البتِّ؟ قلتُ: هو من الشَّرط الَّذي ذَكَرْتُ أنَّه يَصدر عن المُدِلِّ بِصحَّة الأمر، المُتحقِّقِ لِثُبوته، كما يقول الأجير: (إن كنت عملتُ لك؛ فوفِّني حقّي)، وهو عالم بذلك، ولكنَّه يُخَيِّل في كلامه أنَّ تَفريطك في الخروج عن الحقِّ فعلُ مَن له شَكٌّ في الاستحقاق مع وضوحه استجهالًا له"[3].

**التَّعليلُ والشَّرطيَّة في القراءات القرآنيَّة يُثري الدَّلالات التَّركيبيَّة**

**نُكْتَةُ التَّقييد بـ (إن) على قراءة كسر همزتها:**

من المُقرَّر أنَّ استعمال (إنْ) يكون للشَّرط المشكوكِ في وقوعه، وأنَّ (إذا) للشَّرط المقطوع بوقوعه، فالتَّقييد بـ (إنْ) في قراءة الكسر: ﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قُصِد به "تنزيل المخاطَبين المعلوم إسرافُهم منزلةَ مَن يُشَكُّ في إسرافه؛ لأنَّ توفُّرَ الأدلَّة على صِدق

**ما ينبغي لأحدٍ حَباه اللهُ تعالى نعمةً أن يُسرف فيها**

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 20/ 550، وابن الجزري، النشر: 2/ 368.
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 4/ 64، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وقرأ باقي العشرة بفتحها، يُنظر: ابن الجزري، النشر: 2/ 254.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 237.

القرآن مِن شأنه أن يُزيل إسرافَهم، وفي هذا ثقةٌ بحقِّيَّة القرآن، وضربٌ من التَّوبيخ على إمعانهم في الإعراض عنه"[1].

فقراءةُ الكسر توحي إليهم أنَّ (كونَكم مسرفين ممّا كان حقُّه ألّا يكون إلّا افتراضًا، فلا ينبغي لكم أن تكونوا مسرفين، وقد حباكم الخالقُ الكريم سبحانه بهذا الشَّرف الكبير، شرفِ إنزالِ القرآن الكريم إليكم وبِلُغَتِكم)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزّخرف: 44].

**دلالةُ التَّعبيرِ بالكون الماضي في: ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾:**

الإســـــرافُ في معـاداة الحـقِّ متأصِّلٌ -غالبًا- في طِباع أهلِه

التَّعبيرُ بالكون الماضي في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾ إلماحٌ إلى تأصُّل الإسراف في طبعهم، وأنَّهم قد أوغلوا في مجاوزة الحَدِّ إيغالًا مقيتًا، وإلّا لخلا التَّركيب من الفعل ﴿كُنتُمۡ﴾، ولَقيل مباشرةً: أن أسرفتم، إضافة إلى ما تُضيفُه الجملةُ الاسميَّة في ﴿كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾ - وهي من نتاج إقحام الكون الماضي - من تأكيد إسرافهم ومجاوزتهم الحَدَّ في معاداة الرَّسول ﷺ ودعوتِه الشَّريفة.

**دلالةُ التَّعبير بـ ﴿قَوۡمًا﴾، ولطيفةُ تنكيره:**

الإســرافُ طَبعٌ لـلـكـفّـار، وبـه قوامُ قوميَّتِهم

التَّعبيرُ بـ ﴿قَوۡمًا﴾ يُستَعمل في الرِّجال غالبًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ [الحجرات: 11]، فالتَّعبير بـ ﴿قَوۡمًا﴾ هنا يعكس شدَّةَ الإجرام الَّذي واجهوا به الدَّعوةَ وداعيَها ﷺ؛ إذ الرِّجال في الجُرم أشدُّ، وإنْ قُصِد بـ ﴿قَوۡمًا﴾ عمومَهم من رجال ونساء، فالتَّعبير بـ ﴿قَوۡمًا﴾ يُخلَع على كيدهم وجُرمِهم وعدائهم وإسرافهم ومجاوزتهم الحَدَّ فظاعةً وشناعة وبشاعة لا تُتصوَّر، ومع ذلك ها هو الذِّكرُ الحكيم برُقيِّه وجمالِه يُعرِّض

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 164.

لهم مجرَّدَ تعريض بالمعاقبة، ويرسل إليهم برسائل التَّخويف المُهذَّب في صيغة سؤال ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾، وذلك إضافة إلى أنَّ "إقحام ﴿قَوۡمًا﴾ قبلَ ﴿مُّسۡرِفِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ هذا الإسرافَ صار طبعًا لهم، وبه قَوام قوميَّتِهم"(1).

**فائدةُ التَّعبير بالإسراف في: ﴿كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾:**

أغلبُ إطلاقِ الإسراف على الإكثار من الأفعال الضّارّة

الإسرافُ في القيد ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾ "هو الكفر والضَّلال البعيدُ في عبادة غير الله ﷻ، والتَّشريكُ به"(2)، وفي التَّعبير بالإسراف تلخيصٌ وافٍ لما صدر منهم مِن صنوف الإجرام، مثل الكفر والعناد والحرب الَّتي جابهوا بها الرَّسول ﷺ ودعوته الشَّريفة، وإلى ذلك فالتَّعبير بالإسراف يتضمَّن مجاوزةَ الحَدِّ، "والإسرافُ: الإفراط والإكثار، وأغلب إطلاقِه على الإكثار من الفعل الضّائر؛ ولذلك قيل: لا سرفَ في الخير، والمقام دالٌّ على أنَّهم أسرفوا في الإعراض عن القرآن"(3)، وفي وعْظِه تعالى هؤلاء الكافرين المُكذِّبين دلالةٌ على أنَّ "المُسرِفَ أهلٌ لأن يوعَظ، ويُكلَّم بما يَرُدُّه عن الإسراف"(4)، "أي: لأنْ كنتُم منهمكينَ في الإسرافِ مصرّينَ عليه، على مَعْنى أنَّ حالَكُم وإنِ اقتَضَى تخليتَكُم وشأنَكُم حتَّى تموتوا على الكفرِ والضَّلالةِ، وتبقوا في العذابِ الخالدِ، لكنّا لسعةِ رحمتِنا لا نفعل ذلكَ، بل نهديكُم إلى الحقِّ بإرسالِ الرَّسولِ الأمينِ وإنزال الكتاب المبين"(5).

**لطيفةُ صَوْغِ ﴿مُّسۡرِفِينَ﴾ اسمَ فاعل:**

الكافرون يغالون في إسرافهم ضِدَّ الحقِّ وأهلِه

صَوْغُ الخبرِ ﴿مُّسۡرِفِينَ﴾ اسمَ فاعلٍ يعكس ثبوتَ صفةِ الإسراف ودوامَه فيهم، ممّا يؤكِّد غُلوَّهم في الإضرار بالرَّسول ﷺ ودعوتِه، ومجاوزتَهم الحدَّ في تكذيب القرآن الكريم، وهم الكاذبون.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 164.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 46.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 164.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 385.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 40.

**نُكْتَةُ حَذْفِ متعلّق الإسراف في: ﴿كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾:**

**إسرافُ الكفّار في التّكذيب إيذاء للمسلمين**

لم يحدِّدِ النَّظمُ الكريم متعلَّقًا مُعيَّنًا لإسراف هؤلاء الكفّار المسرفين، ولم يقل: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ في كذا وكذا، كأن يقول: (كنتم قومًا مسرفين في الجهالة، مجاوزين الحَدَّ في الضَّلالة)[1]، وذلك الإطلاق يفيد عمومَ إسرافِهم في كلِّ الجوانب، فقد كانوا مسرفين في تكذيب كلام الله تعالى، وكانوا مسرفين في سوء الأدب مع رسوله ﷺ، وكانوا مسرفين في إيذاء المسلمين، وفي الحيلولة بينهم وبين ممارستهم شعائرَ دينِهم الَّذي ارتَضَوا، إلى آخر جهات الإسراف الَّتي تبجَّحوا فيها، ولم يتورَّعوا عنها.

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 3/ 265.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"